

الندوة السنوية السادسة عشرة عام 1439هـ/2018م معالم التفسير في برنامج الشيخ سيدي محمد بن لكبير



كـه الشـيخ سيـدي الحـاج أحمد خليلي

شيخ المدرسة الداخلية الإمام العبقي، تميمون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

الشيخ الأفاضل، إخواني من شيخنا سيدي محمد بن لكبير، بما فيهم
الأوائل والأواخر، ومن كانوا معاصرين، وتلامذتهم وأحبابهم، وأحباب شيخنا
سيدي محمد بن لكبير، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
وبعد: فلقد أطنب وأطرى السيد ختير فيما ذكره فربما يقال فيه: إنه يستسمن
ذا ورم وينفخ في غير ضرم، أيها الإخوة الكرام: الدعوة التي وجهت إلي
عناصرها:

- مفهوم التفسير وأهميته.
- دور التفسير في تحقيق تدبر القرآن والعمل به.
- نظرة الشيخ سيدي محمد بن لكبير في التصدي لتفسير القرآن.
- عناية الشيخ سيدي محمد بن لكبير بالتفسير بالمعهد الإسلامي.
- منهجية الشيخ سيدي محمد بن لكبير في تفسير القرآن والمصادر التي
اعتمدها.

وربما قد لا نلتزم باللف النشر المرتب فقد يكون فيه لف ونشر مشوش وهذا
وارد في كلام العرب كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾⁽¹⁾ ليس فيه
لف ونشر مرتب وقيل:

أَمْسِكْ لِسَانَكَ لَا تَفْهَ بِثَلَاثَةِ سِنٍ وَمَالٍ مَا اسْتَطَعْتَ وَمَذْهَبٌ
فَعَنِ الثَّلَاثَةَ تَبْتَلَى بِثَلَاثَةِ بِمَكْفَرٍ وَبِحَاسِدٍ وَمَكْذَبٍ
وقيل أيضا:

أَرَا حَنِى اللّٰه مِّنْ أَشْيَاءَ أَكْرَهَهَا مِنْهَا الْعَجُوزُ وَمِنْهَا الْكَلْبُ وَالْقَمَرُ
هَذَا يَبُوحُ وَهَذَا يَسْتَضَاءُ بِهِ وَهَذِهِ ضَمَرَزْ قَوَامَةَ السَّحَرِ

- مفهوم التفسير: التفسير مصر فسر يفسر تفسيراً واضحاً ويبين وشرح وقد
يطلق الشرح كذلك على التفسير، وقد ذكر سيدي يوسف النبهاني في طيبة الغراء:
شرحت فوق أحمر المتنسم الخط حتى بدا وزال الخفاء
فسرته لهم صدور العوالي فأقروا أن ليس فيه خطاء

فالتفسير والشرح مترادفان إلا أن التفسير ذاع وشاع اصطلاحه في تبين أي
الكتاب المبين، والكتاب هو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على سيدنا ونبينا
محمد ﷺ وهو الأجدر بهذه التسمية بحيث لا ينبغي أن يشاركه فيها كتاب آخر:
﴿ذَلِكَ أَلْكِتَابٌ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾، وإن كان بعض النحاة قد يطلق هاته اللفظة
على كتاب سيبويه، فيقول كما في الكتاب، ولذا أنكر سعيد زين الدين.... بن
محمد في منظومته المسماة بكفاية الغلام في إعراب القرآن المسماة: بمعلقة
الإسلام حيث قال:

«(1) سورة آل عمران/106.

(2) سورة البقرة/2.

وحيثما قيل الكتاب انهض إليه كتاب ربي لا كتاب سيويه

وغالب النحاة في ذا الباب في غفلة فانح عن الصواب

معلقة الإسلام تسمى بهذا الاسم لأنها قرأت فوق سطح الكعبة سنة خمس
وثمانمائة هجرية هاته المنظومة تشتمل على ستين والف بيت ومعلوم فيها
الآيات المشهورة الذي يقول فيها:

أول من أفادني النحو علي سببه خلف حكاه الدؤلي

عن بنته التي نوت تعجبا فاستفهمت برفع فعله أبا

فقال قولي ما أشد الحر بالفتح في الدال الثقيل والرا

فاستنكرت مقالة أباه واستفهمت عن فعلها أباه

فقام في الوقت إلى الإمام وارث علم سيد الأنام

وقال يا إمام فينا من لحن واللحن في أبنائنا من المحن

التفسير: يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما هو في صحيح
مسلم أنه كان يقرأ سورة النحل فوق المنبر في خطبة الجمعة، عدة مرات بل دائما،
ففي إحداها لما بلغ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾⁽¹⁾، قال عمر رضي الله تعالى
عنه: ما التخوف؟ فقام رجل من هذيل قال: التخوف يا أمير المؤمنين التنقص، قال
وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، يقول شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر رضي الله تعالى عنه، أيها الناس: «عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا:
وما ديواننا؟ قال شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم». وهو بيت القصيد

(1) سورة النحل/47.

ولذا يقول بن الونان الشمقمقي:

لو لم يكن للشعر عند من مضى فضل على الكعبة لم يعلق

لو لم يكن فيه بيان آية ما فسرت مسائل بن الأزرق

مسائل ابن الأزرق، نافع بن الأزرق رئيس الأزارقة من الخوارج، كان في عصر التابعين، حيث قال السيوطي نقلا عن الطبراني في الكبير وعن بن الأنباري، قال: بينما عبد الله بن عباس  مستند على جدار الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير كتاب الله، قال نافع بن الأزرق: لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الرجل الذي يجترئ على تفسير كتاب الله من غير علم، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن كتاب الله ونريد أن تأتينا بمصادفه من كلام العرب؛ لأن الله تعالى أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال لهما: سلاني عما بدا لكما. فقال له: ما معنى عزين في قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾⁽¹⁾، قال لهما: حلق الرفاق أي: جماعات جماعات، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: أما سمعت قول عبيد بن الأبرص المعروف الشاعر الجاهلي من أصحاب المعلقات يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزين

إلى أن قال: ﴿سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾⁽²⁾، قال: وليكتسبوا ما هم مكتسبون، أما سمعت قول لبيد:

وإنني لآت ما أتيت وإنني لما اقترفت نفسي علي لراهب

فذكرت البيت الأول والأخير، قال السيوطي: وقد حذفت منها يسيرا نحو بضعة عشر سؤالا، وقد ذكر تسعا وثمانين ومائة أو تسعة وثمانين ومائة أي سؤالا أو مسألة.

(1) سورة المعارج/37.

(2) سورة الأنعام/120.

والتفسير التوضيح، ويرجع ذلك إلى كون المفسر له دراية وإطلاع على علوم اللغة العربية بما تشمل هاته اللفظة، ولأن إمامنا مالكا رحمه الله يقول: لو صرت من العلوم في غاية ومن الفهوم في نهاية ما خرجت عن أصلين كتاب الله وسنة رسول الله ولا سبيل إليهما إلا باللسان العربي.

دور التفسير وأهميته في تدبر القرآن:

إذا لم يفهم الانسان آي القرآن لا يمكنه أن يتدبر ولو كان يحفظه فهو بمثل قرص مضغوط لا يفهم ما عنده ولذا قيل:

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

ولذا كما ذكر الكشف وابن عطية: أنه لما دخل عبد الله بن عباس رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه قال له: لقد لطممني أمواج القرآن البارحة فغرقت ولم أجد خلاصا إلا بك، فقال في أي آية قال في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾⁽¹⁾، كيف يظن نبي الله أن الله لا يقدر عليه؟ فقال له ابن عباس: إنه من القدر لا من القدرة أن لن نضيق عليه: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾⁽²⁾.

وفي سورة الفجر: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلُّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾⁽³⁾. وحتى ظن قد تكون لليقين وقد تكون للشك وقد تكون للكذب على حسب المعنى في السياق فنجد مثلاً في سورة البقرة ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾⁽⁴⁾، ليس يشكون بل يوقنون، ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسَابِيَّةٌ﴾⁽⁵⁾ تيقنت، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْفَرَاقُ﴾⁽⁶⁾ تيقن، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّقُونَ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة الأنبياء/87.

(2) سورة الطلاق/7.

(3) سورة الفجر/16.

(4) سورة البقرة/46.

(5) سورة الحاقة/20.

(6) سورة القيامة/28.

هُمْ مِّنْ حَيِّصٍ ﴿١﴾. وقد تكون للكذب كما في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (2): يكذبون. فمن أراد أن يتدبر القرآن فعليه بفهم معانيه.

- نظرة الشيخ سيدي محمد بن لكبير رحمته الله أو منهجيته في التفسير:

كان شيخنا رحمته الله ورضي عنه يعتني بالتفسير بل حتى في دروسه الفقهية دائماً كان فيه الاستدلال بالقرآن الكريم لأنه أصل التشريع كما تقدم، وأذكر أنه في سنة أو سنتين كانت له حصة في التفسير في المسجد ما بين الظهر والعصر من أول القرآن إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (3) آخر سورة النحل، إلا أن الشيخ دائماً كان دائماً تواق إلى الأحكام الفقهية؛ لأنها الأساس في تعليم العامة شؤون دينهم، وهذا امتثالا لقول القائل:

إذا ما اعتز ذو علم بعلم فعلم الفقه أشرف في اعتزاز

فكم طيب يفوح ولا كمسك وكم طير يطير ولا كباز

وكان الشيخ رحمته الله في هاته الحصة يعتمد على تفسير روح البيان، معلوم كانت للشيخ مراجع كثيرة من كتب التفسير القديمة وحتى الحديثة وأذكر يوماً كنت عنده مع تلميذه الأكبر وأخينا الأكبر الحاج سالم بن براهيم نسأل الله له السلامة والعافية ولجميع المسلمين (4)، وأتى له بتفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إلا أن الشيخ رحمته الله لم ترقه منهجيته؛ لأن صاحب أضواء البيان قد يسلط الضوء على آية في كتاب الله، فإذا جاءت آية أخرى في معناها يعرض عنها، ويقول قد تقدم ذكرها، ولا يتعرض إليها. فقال له: هاته الآيات التي نزلت، ذهبت سدى؟ ليس لها أي مدلول؟ وكيف لا يتعرض لها، فنعلم أنه كان يراجع

(1) سورة فصلت/48.

(2) سورة البقرة/78.

(3) سورة النحل/128.

(4) توفي صبيحة الثلاثاء 08 يناير 2019 متغمده الله تعالى برحمته الواسعة وجميع موتى المسلمين.

كتب التفسير بما فيها القديم والحديث، وإن كان للقديم كما يقال التقديم والتفضيل:

فلو قبل مبكاها بكيت صباة لكنت شفيت النفس قبل التقدم
ولكن بكت قبلي فهيجني البكا بكاهها فقلت الفضل للمتقدم
لكن لا ينبغي لنا أن ننسى الأواخر لما قيل:

أولع الناس بامتداح القديم وبذم الحديث غير الذميمة
ليس إلا لأنهم حسدوا الحي ومالوا إلى العظام الرميم
وكما قيل:

ترى الفتى ينكر فضل الفتى لؤما وخبثا فإذا ما ذهب
لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب
وقيل:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا ويرى للأوائل التقديما
إن هذا القديم كان حديثا وسيبقى هذا الحديث قديما
وقيل: «معاصرك محاصرك».

يذكر صاحب الابتهاج على ضوء السراج في قوله:

وسيبقى هذا الحديث قديما بل قد أبتك عن طريق الفتح

قال: قال إسحاق الموصلي: أنشدت الأصمعي بيتين على أنهما لشاعر قديم

وهما:

هل إلى نظرة إليك سبيل هل إلى نظرة إليك سبيل
إن ما قل منك يكثر عندي إن ما قل منك يكثر عندي

فقال الأصمعي: والله إنه الديباج الخصر، واني قلت إنه ابن ليلته (أنا قلته)
قال: لا جرم أن أثر التوليد فيه، قال: قلت له: لا جرم أن أثر الحسد فيك، وذكر
عن ابن رشيق القيرواني أنه قال تحاورت مع قسيس حول القرآن الكريم
وإعجازه، فقال القسيس: ليس كل كلام معجز يدل على أنه من عند الله، فقد قال
الحريري في المقامة الحلبية لما قال لبعض غلمانه: أنشد البيتين المطرفين
المشتبهي الطرفين اللذين أسكتا كل نافث وأمنا أن يعززا بثالث وهما:

سِم سِمة تحسن آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسة

والمكر مهما اسطعت لا تأته كي تقتني السؤدد والمكرمة

قال ابن رشيق: ففكرت ملياً، ففتح الله علي بيت، فقلت له: إنهما قد عُرزا
بثالث منذ زمان إلا أنني لا أذكر القائل «فلم ينسبه إلى نفسه مخافة أن يقول له
مولد»:

والمهر مهر الحور وهو التقى بادر به الكبرة والمهرمة

ونرجع إلى فضل القديم كما يقول ابن مالك:

وقد تزداد كان في حشو كما كان أصح علم من تقدما

لكن ابن مالك يقول في التسهيل: إذا كانت العلوم منحاً إلهية، ومواهب
اختصاصية، فغير مستغرب أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر فهمه على كثير من
المتقدمين، ونفتح قوساً، ابن مالك ذكر أبيات فيها عشرة أفعال تبنى على حرف
واحد وهي معروفة:

إني أقول لمن ترجى شفاعته ق المستجير قياه قوه في قينا

لكن الشيخ ماء العينين (ت1910م) ذكر عشرة أبيات أخرى ذكرها الشيخ
سالم ولد عدود (ت2009م) في توشيحته على الطرة، ثم جاء الدكتور محمد
حسان الطيان الدمشقي (1955م) لا زال على قيد الحياة وذكر اثني عشر فعلاً:

إِنِّي أَقُولُ لِمَنْ طَالَتْ قَطِيعَتُهُ
 وَإِنْ وَثِيتَ بِقَوْمٍ مَفْسِدِينَ فَقُلْ
 وَإِنْ أَمَرْتُ بِكَتَبٍ لِلْكِتَابِ فَقُلْ
 كَذَا تَقُولُ مِنَ الْإِيمَاءِ فِي خَفَرٍ
 وَإِنْ أَشْرَزْتَ بِقَصْدٍ لِلْمَسِيرِ فَقُلْ
 وَإِنْ فَرَعْتُ مِنَ الْإِحْرَامِ نُودِيَّ بِي
 وَإِنْ قَصَدْتَ اتِّقَادَ الزَّندِ قُلْتُ لَهُ
 وَقُلْ لِمَنْ يُكْثِرُ الْإِسْرَافَ فِي بَطَرٍ
 وَقُلْ لِلْأَبْسِ ثَوْبٍ بَعْدَ طَوْلٍ بَلَى
 وَإِنْ أَمَرْتُ بِغَيْظٍ لِلْعَدُوِّ فَقُلْ
 وَقُلْ لِمَنْ يَزْدَهِي كِبَرًا وَعَجْرَفَةً
 وَإِنْ أَمَرْتُ بِوُدِّي قُلْتُ فِي ضَحِكٍ
 صِرَ الرَّحْمَ وَيَكْ صِيَاهُ صُوهُ صِي صِينَ
 ثِ بِالْمَسِيءِ ثِيَاهُ ثُوهُ ثِي ثِينَ
 حِ ياصْدِيقِي حِيَاهُ حُوهُ حِي حِينَ
 مِ ياخلِيلِي مِيَاهُ مُوهُ مِي مِينَ
 خِ الدَّرَبِ نَهَجًا خِيَاهُ خُوهُ خِي خِينَ
 سِ الرَّأْسِ حَالًا سِيَاهُ سُوهُ سِي سِينَ
 رِ يازُنَيْدُ رِيَاهُ رُوهُ رِي رِينَ
 كِ الْكَيْسِ وَيَكْ كِيَاهُ كُوهُ كِي كِينَ
 هِ الثَّوْبِ وَيَكْ هِيَاهُ هُوهُ هِي هِينَ
 زِ الْقَوْمِ جَمْعًا زِيَاهُ زُوهُ زِي زِينَ
 طِ الثَّرْبِ وَيَكْ طِيَاهُ طُوهُ طِي طِينَ
 ذِ ياحِمَارِي ذِيَاهُ ذُوهُ ذِي ذِينَ

الشيخ ماء العينين لم يذكر فعل الأمر من ومي ووثنى ووثنى، إلا أنه ذكر فعل
 الأمر من وغى، ووغى النحل أو الباعوض صَوَّت، ووغى الرجال في الحرب
 بدت منهم أصوات، ولذا تسمى الحرب بالوغى:

وَقُلْ لِمَنْ بِالْوَغَى جَهْرًا يَصَوْتُهُ غ بِالْإِلَهِ غِيَاهُ غُوهُ غِي غِين

وتعبير ماء العينين أولى في الذال لأن وذى وجهه خدشه، ووذى خرج منه

الوذى

وَلَا تَكُنْ خَادِشًا وَابِذْ لِمَنْ لَفْظًا ذِذَا الْمَتَاعَ ذِيَاهُ ذُوهُ ذِي ذِين

وكذلك إذا قلت وهى الثوب فهو بال وهى الجدار أشرف على السقوط فهو
واه فالثوب لا يؤمر وإن أمر لا يجيب فيقول الشيخ ماء العينين:
وإن ترد لكمال العز مرتفعاً هـ كالسحاب هياه هو هـ هي هين

يبقى من حروف المعجم الباء والتاء والضاد والطاء والواو والياء، وإن كان
ابن جنى ذكر الباء والتاء، ولكن لم يذكر لهما شاهداً، وكل هاته الأفعال هي
واوية الفاء إلا "رَ الرأي" فذاك من رأى، يرى، لم ير، رَ.

- عناية الشيخ سيدي محمد بن الكبير في المعهد الإسلامي تقدم الكلام على
المدرسة يبقى المعهد، فقد ذكر السيد الحاج الطيب كحلاوي وهو على قيد
الحياة، وهو حاضر معنا، فقد يكون عنده ما يشفي العليل، ويبرد الغليل وكما قيل
سابقاً:

فلو قبل مبكاها بكيت صباة كنت شفيت النفس قبل التقدم
ولكن بكت قبلي فهيجني البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

